مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

أحـــوال النـــاس
وَذِكْر الخَاسِرينَ وَالرّابِحِينَ مِنْهُم

(للعز بن عبد السلام ت 660 هـ)

راجعه وعلّق عليه

عبد الرحيم أحمد قمحية

مراجعة: الدكتور محمد بن الحاج

هذا أثر من آثار سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام السلمي (ت 660 هـ) في القاهرة، راجعه الأستاذ عبد الرحيم أحمد قمحية وعلق عليه، وقدّم له الأستاذ عبد الحكيم بحلاق، وأصدرته دار النابغة في سوريا ودار القادري في بيروت (د. ت) في نيف وتسعين صفحة من الحجم العادي.

يضم الكتاب ثلاث رسائل صغيرة للإمام العزّ هي:

1 ـ أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم.

2 ـ الفرق بين الإيمان والإسلام.

3 ـ فوائد البلوى والمحن.

ولا شك في أن نشر مثل هذه الرسائل القيمة، ولعالم عامل مثل الإمام ابن عبد السلام هو من أجل الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله تعالى، لما فيها من نفع

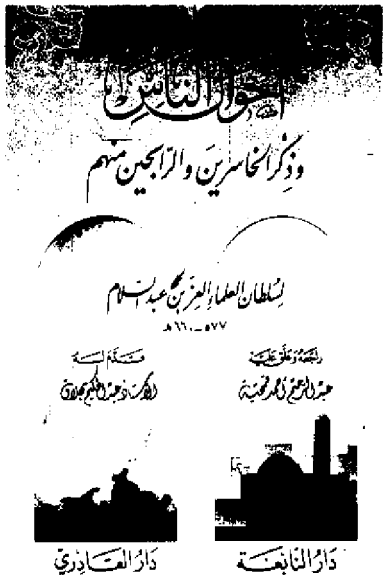

جزيل للقراء، تنشرح به صدورهم، ويقوى إيمانهم، وتزداد معارفهم.

إن المسلم يبتهج حقاً وهو يتلقى الجديد الذي تدفع به المطابع من عيون تراثنا العظيم، لكنه يأسف كل الأسف حين يمسك بهذا الجديد ويتفحصه فيصطدم بمآخذ علمية قاصمة، تغيّر رأيه فيه وتنقص من قيمته لديه. وهذا هو ما حدث لي مع هذا الكتاب الجديد.

يبدو أن السيد عبد الرحيم قمحية الذي قام بمراجعة هذه الرسائل والتعليق عليها، ليس له أي دراية بعلم تحقيق التراث ومتطلباته، ويتضح هذا في الأمور الآتية:

أولاً: لم يذكر البتة النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها في التحقيق، ولم يضع صوراً أو نماذج منها كما يفعل المحققون.

ثانياً: اكتفى بنسخة واحدة لكل رسالة من تلك الرسائل ونسخها وضبط كلماتها، وعزا آياتها وخرّج أحاديثها. وهذا تفريط كبير يفقد العمل قيمته العلمية، ويدين صاحبه بالتقصير، إذ كيف يتأتى تحقيق أي أثر علمي دون إجراء مسح كامل لنسخه الموجودة في مكتبات العالم، ثم تحديد المنهج المناسب لعملية التحقيق والتوثيق[1]. وكل هذا لم يفعله السيد قمحية!!.

ثالثاً: هناك مقدمة علمية مهمة تتصدر أي عمل تحقيقي من هذا النوع، يتحدث فيها المحقق عن أهمية النص المحقق، ودواعي تحقيقه وإخراجه للناس، ومدى إسهامه في مجاله العلمي، وما هي نسخه المتوافرة وما أوصافها والمنهج المناسب لتحقيقها... وكل ذلك لم يفعله السيد المذكور.

---

(1) معلوم أن الأستاذ إياد خالد الطباع قد قام مشكوراً بتحقيق هذه الرسائل الثلاث ضمن سلسلة مؤلفات الإمام العزّ بن عبد السلام، وأخضعها للمنهج العلمي في فن التحقيق، وصدرت عن دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت.

رابعاً: نقل أسماء مصنفات العزّ بن عبد السلام في (ص19) دون تمحيص وتحقيق، فوقع فيما وقع فيه كثيرون، حيث نسب إليه الكتابين المعروفين: «كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار، وشرح السول (كذا) والأمل في علمي الأصول والجدل» وهما من الكتب المنسوبة خطأً لابن عبد السلام[2].

خامساً: بالرجوع إلى الكتب التي ذكرت مصنفات العز، والنسخ الموجودة لهذه الرسائل المذكورة، نعلم أن لها أكثر من عنوان محدد، لكن السيد قمحية هنا لم يشر إلى ذلك، الأمر الذي يوحي إلى القارىء بأن هذه هي العناوين الوحيدة لهذه الرسائل، ولا يوجد غيرها. وفي هذا ما فيه من تقصير واضح.

سادساً: عند نهاية الرسالة الثالثة، وهي (فوائد البلوى والمحن) هناك عبارة في النسخة التي حققها الأستاذ إياد خالد الطباع تقول: «وكان الفراغ منه لتسع خلون من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة، غفر الله لقارئه ومستمعه وكاتبه ولجميع المسلمين، والحمد لله وحده». هذه العبارة لا وجود لها في عمل السيد قمحية، وهذا يعدّ منقصة وعيباً يؤاخذ عليه، إلا إذا افترضنا أنه اعتمد على نسخة أُخرى ليست بها تلك العبارة، وهو افتراض ـ فيما أرجح ـ بعيد.

سابعاً: هناك أشطار ثلاثة من الشعر ضمّنها العزّ بن عبد السلام.

الأول: في رسالة (أحوال الناس..) ص29 وهو:

ليس التكحل في العينين كالكحل

والثاني: في الرسالة نفسها (ص30) وهو:

نفس عصام سوّدت عصاما

والثالث: في رسالة (فوائد البلوى والمحن) ص80 وهو:

وإنما يرحم العشاق من عشقا

---

(2) انظر مقدمة تحقيق كتاب (مجاز القرآن) للعزّ ـ بتحقيق د. محمد بن الحاج مطبوعات كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس.

لكن السيد قمحية أثبتها في بداية الأسطر كأنها عبارات نثرية عادية، ولعله فعل ذلك لعدم إدراكه أنها أشطار شعرية. أما إذا كان يدرك أنها كذلك، فقد كان عليه أن يضعها وسط الصفحة بين نجمتين، كما هو معتاد أن توضع الأشطر المفردة، كما كان عليه أيضاً محاولة عزوها إلى أصحابها. نعم إنه فعل ذلك في (ص30)، لكنه لم يذكر أنه شطر من الشعر، بل ساقه على أنه مثل نثري مسترسل، وكان عليه أن يرتب الأمر على هذا النحو:

نـفـس عـصـام سـوّدت عـصـامـا
وعـلـمـتـه الـكـر والإقـدامـا
وجـعـلـتـه مـلـكـاً هـمـامـا

وهي أبيات مشطورة كما هو واضح هنا.

وبعد، فهذا مثال يتكرر في ساحتنا العلمية والثقافية، ونموذج من المنشورات التي لا تخضع للمراجعة العلمية والمعايير الفنية المتعارف عليها في مجال البحث والتحقيق، نشكر لصاحبه غيرته على التراث وحرصه على إخراجه للناس ليفيدوا منه، ولكن نأخذ عليه إخلاله بالأصول والقواعد العلمية، وننبه أبناءنا من الباحثين والمحققين إلى هذه الظاهرة حتى يعرفوها ولا يقعوا في أمثالها.

واللّه نسأل الهداية والتوفيق.